

# المضمون التربويّ في الشعر الموجّه إلى الأطفال في الأردن

الدكتور مصلح النّجار

قسم اللغة العربيّة - الجامعة الهاشميّة  
المملكة الأردنيّة الهاشميّة

العنوان

ص.ب (1505)

الرمز البريديّ (11821)

عمّان - المملكة الأردنيّة الهاشميّة

e-mail:[muslih@hu.edu.jo](mailto:muslih@hu.edu.jo)

## مقدمة:

تركز هذه الدراسة على المضمون في الشعر الموجّه إلى الأطفال، ذلك أن المضمون إشكالية في الإبداع الشعري بعامه، وهو محطّ خلاف في شعر الأطفال بخاصّة، إذ يحتاج الشاعر إلى رويّة، وحرفة راقية ليتمكن من سوق مضمون قصيدته من دون أن يقع في شَرَك الوعظ، وهو أمر مكروه بالنسبة إلى الفئة المستهدفة من هذا الشعر، بسبب قيام كثير من المحيطين بالأطفال بدور الواعظين، فهم في غنى عن واعظ إضافي.

وثمة ملاحظة ينبغي أن تسجّل لدى تطرّقنا إلى الفئة المستهدفة بهذا النتاج الشعري، هي أنّ مجموعات شعر الأطفال في الأردن، في الأغلب، لم تكن قصائدها موجّهة إلى شريحة عمرية معيّنة من الأطفال، فلا يتّضح إن كانت موجّهة إلى أطفال ما قبل سنّ دخول المدرسة مثلاً، أم إلى أطفال في الصّف السادس الأساسي. وتشكّل مسألة العمر مأزقاً على مستويي قراءة النص وتلقيه معاً.

وستتضمّن الصّفحات الآتية دراسة تطبيقية تتناول الشعر الموجّه إلى الأطفال، مركّزة على جانب المضمون، وذلك بعد تحديد مفهوم المضمون، ثمّ التقديم لهذه الدراسة التطبيقية ببسط نظري حول تحديد مفهوم الطفولة المقصود، وحول المضمون ودوره في الشعر الموجّه إلى الأطفال، فضلاً عن السمات المحبّذة في ذلك الشعر، وفاقاً لآراء نقّاده وكتّابه.

وتتعلق الدراسة من فرضية مؤدّاه أنّ شعر الأطفال كان، في مجمله، ذا مضامين سامية، تتوزّع بين أغانيم الحقّ، والخير، والعدل، والجمال، والعمل. وأنّ القصائد التي وجهها الشعراء للأطفال لم يكن بينها ما يحيد بها عن هذه الغاية، أو يقصّر عن هذه المطامح. فالشعر، في حدّ ذاته، مستكملٌ لشروط تلبية الغايات التربوية المرجوة منه.

بيد أنّ ثمة مشكلة أساسية تظهر للمطلّع على حركيّة هذا النتاج الشعري في مجتمع الأطفال، إذ لا يظهر له أنّهم يلّبون غايات هذا الشعر، فنحن لا نجد قصيدة موجّهة إلى الأطفال تدعو إلى الكذب، بل جميع القصائد التي تطرّقت إلى هذا الجانب تدعو إلى الصدق، ولكنّ الأطفال لا يصدقون دائماً، كما تعلمهم القصيدة، وكذلك يمكن القول فيما يخصّ كثيراً من المسائل: كالنظافة، والأخلاق، والتهديب، والحقّ، والأمانة، وسواها.

## بسط نظري:

لا بدّ من التمهيد لهذا البحث بتحديد المقصود بالمضمون، وتحديد الطفولة التي يُعنى بها هذا البحث، ثمّ بسط العلاقة بين الطفل، والشعر، والمضمون الشعريّ. وهو ما يتمّ تناوله فيما يأتي:

### 1. المضمون - تحديد المصطلح:

عندما نتحدّث عن المضمون في الأدب، بشكل عامّ، في هذا البحث؛ فإننا نقصد المحتوى الفكريّ، والعواطف، والانفعالات، والمشاعر، والمواقف، والخواطر، إنّنا نقصد بالمضمون المعنى، أو الرسالة، أو المرسلّة، أو البعثة. إنّهُ الفكر (الإيديولوجيا)، والفكرة (idea).

الفكر كأن نقول: إنّ العمل الأدبيّ، أو النّصّ، أو الأثر الأدبيّ يتضمّن فكراً إسلامياً، أو اشتراكياً، أو وجودياً، أو اجتماعياً، أو أرسنقراطياً، أي أنه يصدر عن فكر اتّجاه، أو مدرسة، أو تجمّع، أو تيّار، أو دين، أو حزب، أو جماعة. وأمّا الفكرة فقطعة من المحتوى مرجعها العقل. ولما كان كلّ فكرٍ مكوّنًا من فكرٍ؛ كان لا بدّ من التفريق بينهما على أساس انتماء الفكر إلى جماعة، واختصاص الفكرة بالفرد.

ويكون كلّ أثر أدبيّ، سواء أكان شعراً أم نثراً، من عنصرين اثنين هما: المعنى والمبنى، ويقال لهما أيضاً: الفكرة واللفظ، أو المضمون والشكل، أو المحتوى والصورة<sup>1</sup>.

ولا بدّ لنا من أن نفرّق بين المضمون والموضوع، إذ يتكوّن الموضوع من مضامين متعدّدة في الغالب، فنقول: موضوع هذا النّصّ موضوع وطنيّ، وهو يتضمّن مضامين كحبّ الوطن، وافتدائه بالأرواح، وجمال الوطن، ومفهوم الوطن... إلخ. وكذلك نقول: موضوع هذا النّصّ الأدبيّ هو الأسرة، وفيه مضامين كحبّ الوالدين، وحبّ الدين على إجلالهما، وإحسان معاملتهما، وتمنّي الصّحة لهما... إلخ. الموضوع هو إطار عامّ يضمّ النّصّ بين جنباته، ويحتويه، والنّصّ يتّسع، بدوره، لمضمون أو أكثر، ونادراً ما يتضمّن النّصّ أكثر من موضوع؛ فذلك من العيوب التي تظهر في نصوص مراحل الضعف في التأليف.

## 2. الطفولة:

الطفولة مرحلة عمرية تبدأ منذ ولادة الإنسان، ويقسمها العلماء إلى طفولة ما قبل المدرسة، وهي محدودة بالسنوات الست الأولى من حياة الإنسان، على الأغلب، وتتبعها المرحلة العمرية من (7-12) سنة، التي تسبق مرحلة المراهقة (12-18) سنة<sup>2</sup> وعندما نتحدّث عن شعر موجّه إلى الأطفال فإنّ الطفولة المقصودة تمتدّ من مرحلة ما قبل المدرسة، وتبدأ حين يصبح الطفل قادراً على فهم الشعر الذي يوجّه إليه، في الرابعة من عمره مثلاً، انتهاءً بالسنة الثانية عشرة من عمره، حين ينتقل إلى مرحلة المراهقة. وبذلك يخرج من حسابنا أبناء مرحلة (0-4) ما قبل 4 سنوات).

فعلی الرغم من أنّنا حدّدنا الطفولة بهذين الحدين العمريين، ولكن ذلك لا يعني أبداً أنّ ثمة نصّاً أدبياً إبداعياً يمكن أن يكون صالحاً للأطفال بإطلاق أعمارهم، أي من دون تقييد المرحلة العمرية التي يوجّه المبدع نصّه إليها، وينبغي أن يكون هذا التقييد، أو التوجيه قائماً على معرفة المبدع بالثقافة التي حصلها أطفال هذه المرحلة دون غيرها، والثقافة المقصودة هنا هي حاصل معرفي من أشياء، ومفردات، وعلاقات لغوية، فضلاً عن ضرورة معرفة المبدع أيضاً بما يرغب في أن يضيفه إلى ذلك الرصيد الثقافي القائم لدى أطفال هذه الشريحة العمرية. وهنا تبرز ضرورة الميز بين الأطفال الأسوياء، وهُم المقصودون، والأطفال المتميزين، أو الأطفال المتخلفين.

وينبغي للمبدع أيضاً أن يلمّ بثقافة العصر وأثرها في حدود ثقافة الأطفال، فما هو مناسب للأطفال شريحة عمرية سنة 2005 مختلف عمّا كان مناسباً في العام الدولي للطفولة 1979، فما بالنا إذا قارنا ذلك بما طرحه كامل الكيلاني أو أحمد شوقي في النصف الأول من القرن العشرين، أو بما كان مؤدّبوا الأمين والمأمون، مثلاً، يقدّمونه إليهما في بلاط الرشيد. إنّ ثقافة الأطفال خاضعة لسنن التطور، كمثّل ثقافة العصر في مجموعها العامّ.

## 3. الطفل، والشعر:

تمخضت إحدى الدراسات الحديثة عن نتيجة مؤدّاها أنه ينبغي لكتّاب أدب الأطفال أن يبحثوا عن مناهج لتطوير استراتيجيات اشتغال الذاكرة، وليس حشوها بالمعلومات مثل حشو الحاسوب. ولن تعرف هذه العملية نجاحها إلا من خلال البحث عن أساليب لنسج علاقة جديدة بين العناصر الجديدة، والعناصر المتوافرة قبلاً في الذاكرة، وهذا يعني أن منهج تلقين المعلومات الجاهزة لن يفيد كثيراً في تطوير مهارات الأطفال المتعلمين<sup>3</sup>. فليس الهدف من أدب الأطفال هو وضع الأطفال في مواجهة مفردات وعلاقات جديدة فحسب، بل يطلب إلى كتّاب هذا الأدب أن يوفّروا هذه المفردات والعلاقات بطريقة تتطور معها مهاراتهم في التلقي والفهم ونسج العلاقات بشكل تدريجي ومنطقي.

وإذا كان كثير من الباحثين يركزون على جانب الشكل في الشعر الموجّه إلى الأطفال، فإن ذلك بالتأكيد، لا يعني إقلالاً من أهمية المضمون المتميز، فهناك غاية أساسية لما يقدم للأطفال هي تعليمهم كيف يشعرون ويحبون الجمال في أشكاله، وتثبيت عواطفهم وأذواقهم، ومنع شهواتهم من الهبوط إلى الخبيث والرذيل. فالشعر يقدم للأطفال متعة ورضى وإشباعاً لرغباتهم، بيد أن تفضيلهم شعراً على آخر يتوقف بالدرجة الأولى، على الفكرة والمضمون المبتوئين في هذا الشعر<sup>4</sup>، ويعتمد في درجة تالية على ذلك الشكل الفريد، فإذا ما تضافراً تحقق لهذا للشعر جمهور عريض من الأطفال.

ولعل أية ندوة حول ثقافة الطفل وأدبه - لا تخلو من توصيات حول الشروط الواجب توافرها في هذا الأدب على شكل أهداف يجب أن يحققها. ومدار جُلّ هذه التوصيات، حول المضمون السامي، والمعاني الإيجابية، وتكريس الأخلاق الحميدة،

وغرس القيم النبيلة في نفوس الأطفال<sup>5</sup>. فثمة وظيفة يضطلع بها الشعر وهي مساعدة الأطفال على اكتشاف الجمال، ولكنّه يجب أن يسهم كذلك في ازدياد حساسية أفكارهم، وأذواقهم، وأمزجتهم<sup>6</sup>.

### الغائيّة في الشعر:

ثمة إرث عظيم من التطبيقات النقدية التي ترى أنّ وظيفة الأدب الأساسية وظيفة أخلاقية، فهذا هو وليم وردزورث يقول: إنّ كلّ شاعر عظيم هو معلّم، وأحبّ أن يعدّني الناس معلّمًا أو لا شيء<sup>7</sup>. وقال أيضا: على الشاعر أن يختار حوادث ومواقف من مألوف الحياة، ويقدمها جهد الإمكان في لغة منتقاة مما يستعمله الناس فعلا<sup>8</sup>.

وقد آمن الشاعر الإنجليزي دي كوينسي De Quincy (1859-1785) بما في الشعر من غاية أخلاقية، لأنّه يهزّ ويؤثّر، وبالتالي فهو يعلم<sup>9</sup>.

وقال فكتور هوجو: إنّ رسالة الشعر ليست للنظم للغناء فحسب، بل على الشاعر أن يحتّ على العدالة، وينافح عن الحقّ،...، إنّ مهمّة الشاعر إثارة الحماسة في نفوس الجماهير، وذلك بأن يشارك في السياسة، وأن يثبّت قواعد الأخلاق في المجتمع<sup>10</sup>. وقال أيضا: وظيفة الشاعر ذات خطر...، الفنّ للتقدّم...، كونوا نافعين<sup>11</sup>.

وقد قال لامارتين: الشاعر يجب أن يكون معاصرا، واجتماعيا، وسياسيا<sup>12</sup>.

وفي مقابل الآراء التي تؤمن بغائيّة الشعر؛ كانت هنالك بعض الآراء التي لا تؤمن بهذه الوظيفة، فهذا هو شيلر Schiller يقول: إنّ الفنّ كلّهُ نتيجة لدوافع اللعب، إنّه لعب حرّ تقوم به الطاقة الإنسانية دون دافع خارجي<sup>13</sup>. وهو يقول أيضا: إنّ الفنّ وقف على المتعة<sup>14</sup>. كما اعترض إدجار آلان بو Edgar Allan Poe على كلّ ربط بين الشعر والأخلاق، وهو يسفّه تعلق الأميركيين في عصره بالربط بينهما<sup>15</sup>.

### المضمون بين الواقع والخيال:

ينبغي للشعراء الأفاضل، وهم يكتبون شعرهم للأطفال، أن يحافظوا على نسبة كبيرة من التوازن بين قضايا واقعهم الملموس، وخيالهم المبحّ المحسوس، والشاعر الفذّ يخلق في فضاء الشعر بخيال مجنح، لكن بقلب مثقل بهموم الواقع وطموحاته<sup>16</sup>. ولعلّ تنمية الخيال، والذائقة الجمالية لدى الطفل تتحقق بشكل كبير من خلال توظيف الخيال في لغة النصّ الموجّه إلى الأطفال، وهو ما يتحقق من خلال الصور البلاغية. وإنّ للخيال مسريين مهمين في تلك النصوص أحدهما المضمون كبتّ قصص الجن، والسحر، وما إلى ذلك، وثانيهما اللغة من خلال تلك المكونات البلاغية، أي الصور البيانية التي هي موضوع دراستنا هذه.

ولعلّ واحدا من أهم الشروط التي يجب تحقّقها في شعر الأطفال هو أن تكون مضامينه في حدود إدراك الطفل، وأن تكون واضحة المعالم، بعيدة عن التداخل والتعقيد<sup>17</sup>. يجب أن تكون اللغة التي يُعبّر بها عن تلك المضامين سهلة بسيطة، مناسبة لأفكار الصغار وعقليّاتهم، ومن الواجب على من يهيمه أن يكون ناجحا في تبليغ ما يريد تبليغه للصغار أن تصاحبه خبرة بقاموسهم المحدود، أو يبتعد عن المجازات، والكنايات، والإشارات الضمنية، والرموز، وغرابة الصور، ويحرص على أن تكون خيالاته وصوره قائمة على أساس حواس الطفل<sup>18</sup>.

إنّ الطفل في سن الخامسة مثلا يصعب عليه أن يميز بين الخيال والحقيقة، وهو تمييز يزداد عند بلوغه السادسة. وهو يجب أن يقصّ قصصا لا يصدّقها العقل وهو في الثامنة، وهذا ما يتراجع لدى كثير من الأطفال عند بلوغهم التاسعة<sup>19</sup>. وفي سن السابعة يستطيع الطفل أن يتبين أوجه الشبه بين شيئين بسيطين، وينمو ذلك عنده في الثامنة<sup>20</sup>.

يرى أكثر الأدباء الذين يكتبون للأطفال أن العمود الفقري للشعر الموجّه للأطفال هو الأفكار الشعرية، والخواطر، التي من دونها لا يستحق الشعر الحياة، ولا يحرك شيئا أو أحدا<sup>21</sup>.

وهنا تبرز دعوة المتخصصين إلى أن تكون لغة النصوص المكتوبة للأطفال على قدر المقام، بحيث يعرف الكاتب أقدار المعاني، ويوازي بينها وبين أقدار هؤلاء الأطفال المتلقين، فتكون لغة تلك النصوص بسيطة ولكن سليمة، كما يجب ألا يكون تزويد الأطفال بالمفردات الجديدة سببا في الإغراب، أو في الوقوع في هاوية الشرح الذي يسبب ترهلا لكثير من النصوص<sup>22</sup>.

ويجب عدم الإسراف في تفسير الشعر وتحليله للطفل، لأن ذلك يقلل من ميل الطفل إلى هذا النوع من الأدب<sup>23</sup>. فاللغة أداة تواصل وبخاصة عند الأطفال، فيجب ألا يعوقها أي عائق<sup>24</sup>.

## - المضامين التربويّة:

ظهرت مجموعة غفيرة من المضامين التربويّة (الإيجابية بالضرورة) في الشعر الموجّه إلى الأطفال في الأردن، كمثل تلك التي ظهرت في الشعر العربيّ كلّهُ الموجّه إلى الأطفال. ومن هذه المضامين ما يخصّ العمل، ومنها ما يخصّ الوطن، والإحساس القوميّ، وكان بعض هذه القصائد يتناول البيئة المحيطة بالطفل، في حين اثنى على بعضها بموضوع العلم والتعلّم، وركّز بعضها الآخر على الأسرة، والعلاقات الاجتماعيّة التأسيسيّة فيها. وفيما يأتي نماذج من تلك الأشعار.

### أ. موضوع العمل:

يقول علي البتيري من قصيدة "أغنية الصباح":

فيا طيورُ غردي

ويا قلوبُ أنثدي

ويا ورودُ أسعدي أنظارنا

ورددي

فُولوا معي.. فُولوا معي...

ورددوا الأشعار،

يا شمسنا قومي اطلعي

وعانقي الأزهار

الصبحُ بابٌ واسعٌ للسعي والعملُ

والنورُ عذبٌ طالعٌ يجددُ الأمل<sup>25</sup>.

يعالج الشاعر في السطور السابقة موضوع العمل، فضلا عن الأمل المقرون بالعمل دائما. فهو يرى أن الصبح يطلع من أجل السعي والعمل، وهذا مفهوم يربط بين قيمة من القيم الإنسانيّة الراقية، التي يحقّق الإنسان وجوده من خلالها، وبين ظاهرة طبيعيّة تتناسب في معانيها وقيمة العمل، وهذه الظاهرة هي طلوع الصباح، لينطلق إلى أن يتناول النور المرتبط بالصباح، فيجعله سببا من أسباب الأمل. فالعمل والأمل كلاهما يربطهما الشاعر بالصبح والنور. لقد ركّز الشاعر على جماليّات الصبح، وأطال في الحديث عنها، ولكنّه جعل ذلك كلّهُ مقدّمة للوصول إلى الحزّ على العمل، والسعي، والأمل في السطرين الشعريين الأخيرين. لقد طلب الشاعر من الطيور أن تغرّد، ومن القلوب أن تنتشد، ومن الورد أن تسعد الأنظار، ومن الشمس أن تعانق الأزهار، حتّى ينضافر الجمال مع العمل، في منظومة تشجّع على قيمة العمل، وبذلك يطلع صباح جديد فيه كلّ الخير للجميع. ويتحقّق المضمون التربويّ من خلال إيمان الطفل بأنّ المخلوقات الجميلة تستجيب لدعوى العمل، وهي مقرونة بدعوى الحبّ.

ويتناول محمود الشلبي الموضوع ذاته في قصيدة "النهار الجديد" التي يقول فيها:

طلع النهارُ من الظلام

والشمسُ فرقت الغمام

والبيتُ نوره الصغار

وتسلفوا شجر النهار

في الصبح نحنُ لنا نشيدُ

كالحمم يكبرُ من جديدُ

في الصبح نَغمرها الدروب  
 بالحبِّ واللحن الطروب  
 نسعى إلى الأمل الكبير  
 والأرض نملؤها عبير  
 طلع النهارُ فيا صديق  
 هيا نحارب كلَّ ضيق  
 طلع النهارُ وفي الحياة  
 درسٌ تعلّمه الميأة  
 في الصخرِ شقَّتْ دُرَيْها  
 ومضتْ تناجي ربَّها.<sup>53</sup>

في السطور السابقة يبرز الشاعر النهار الذي يتحدّث عنه بأحسن حلّة، وأبهى صفاتٍ، فهو نهار النور، والنشاط الموصول، والنشيد واللحن، والحبِّ، والأمل، والعبير، والحياة، والدأب. فهو يستثمر موضوع قصيدته وهو النهار، فيحمّله المعاني الجميلة، والدعوات الزائغة، التي يرغب في أن يقولها للأطفال، ولكنّه لا يسوقها بصيغة وعظيمة قد تنفّر الأطفال، بل يجعلها حديثاً عن النهار، وللاطفال أن يأخذوا العبرة من هذه السطور الشعرية. فالنصيحة حاضرة، ولكنّها تتخلّى عن السياق الوعظي المباشر، أو الصارخ.

#### ب- الموضوع الوطني والقومي:

يتكلّم علي البئيري على عمل من نوع آخر، فما هو يقول من قصيدة "من أطفال القدس إلى الأطفال العرب":  
 أرسلنا للوطن العربيّ تحيةً  
 بدمٍ سال على أبواب مدينتنا  
 سطرنا في الليل رسالتنا  
 قلنا:  
 يا أطفال الأقطار العربية يا أحرار  
 هل يكفيننا منكم تصفيقٌ  
 وهتافاتٌ  
 خلف خطوط الناز؟  
 يا أطفال الوطن الواحد،  
 من بغداد إلى طنجة  
 هل تكفي من حول التلفاز الفرجة  
 حين تُداع عن القدس الأخباز؟<sup>26</sup>

فالشاعر يضع العمل هنا مقابل الكلام، أو مقابل الاكتفاء بالفرجة، أو بالكلام، فيبرز قيمة العمل، والحضّ عليه، من خلال السطور السابقة متعاضدة مع قيمة مهمة من قيم الإنسان، وهي الانتماء القومي، فالعمل المطلوب هنا هو عمل من أجل فلسطين، والشاعر يستنكر أن يكتفي أطفال العرب بالفرجة من خلال شاشات التلفاز على ما يحدث في فلسطين، وهو إذ يستنكر ذلك؛ فإنّه يطلب بطريقة غير مباشرة أن يتجلى الموقف من خلال العمل لا الفرجة فحسب، ولعلّ الرسالة هنا غير موجّهة إلى الأطفال بأنفسهم، بل هي موجّهة إلى الكبار من خلال أطفالهم، أو لنقل: إلى هؤلاء الأطفال عندما يكبرون، فهي محاولة من الشاعر لاستنهاض العمل النضالي في النفوس الغضة، ليكون ذلك قيمةً يغرسها فيهم اليوم، حتّى تؤتي أكلها في المستقبل.

فإذا كان البتيري قد ساق القضية الوطنية في السطور السابقة، مصحوبةً بثيمةٍ أخرى هي العمل، فإنه يتكلم في قصائد كثيرةٍ أخرى على الوطن فحسب، فما هو يقول في قصيدة يا ليتني غيمة:"

يا ليتني غيمة  
أعلو بساط الريخ  
أمضي بلا تصریح  
لأقول يا نفسي  
طيري إلى القدس  
بالشوق بالأمطار  
خطي على الأسواز  
واسقي سجين الداز  
والإخوة الأحرار  
يا ليتني غيمة  
أمتد كالخيمة  
لأرد حَر الشمس  
عن موطني العاري  
أنسيه حزن الأمس  
بقدم أمطاري<sup>27</sup>.

يلاحظ من السطور السابقة أن الشاعر يعالج قضية وطنية هي القضية الفلسطينية، فصوت القصيدة (وهو يقابل الراوي في الرواية) يتمنى لو أنه غيمة تطير شوقاً إلى القدس، وتسقي السجناء هناك، وتتعاطف معهم، ومع الأحرار الذين يبرزون تحت نير الاحتلال، هذا فضلاً عن أن القصيدة يمكن أن تقدم للطفل معلومةً علميةً، أو معرفيةً حول علاقة الغيم بالمطر، في إطار مكتنز بالواقعية، ولكنه لا يستغني عن الإفادة من معطيات الخيال الأدبي الذي تقدمه حكاية بساط الريح المعروفة في أدب الأطفال.

وما تفتأ القضية الوطنية تطل برأسها في شعر علي البتيري، فهو يقول أيضاً:

لا تسألوني ما الذي فتحته  
فهذه يا إخوتي رسالة  
عانقت في سطورها أبي  
عانقت أمني  
وهي تحمي بيتنا  
من غاصب يوسع امتلاكه  
ضممت كل سطر قال والدي خلاله  
بأن قرنتي حزينه البيوت  
جريحة التراب والكرامة<sup>28</sup>.

إن الشاعر يسوق واقع الحال في وطنه، من خلال موقف درامي، يقف فيه صوت القصيدة وهو يفتح رسالة من أبيه، تخبره عن أحوال قريته، التي تعبر عن حال الوطن كله، ففيها يطل أبوه، وتظهر أمه وهي تعضد أباه في حماية البيت، وفيه تبدو القرية حزينه البيوت، وترابها وكرامتها مجروحان بذلك الاحتلال الذي يندسهما.

وها هو موضوع الوطن يتجلى في شعر محمد الظاهر، فهو يقول من قصيدته المطولة التي شكلت مجموعة شعرية كاملة "تغريد البطمة":

سألت عدوها الحاقد  
لماذا تقتل الأطفال والفتيات ؟  
لماذا تطلق الطلقات في الساحات ؟



لماذا اغتلت تغريدا ؟

أجاب بوجهه الجامد:

فلسطينية كانت

تحب الأرض

نشيد الأرض في دمها وفي فمها هتاف الرفض<sup>29</sup>

فالشاعر يستثمر شخصية الشهيدة تغريد البطمة، لي طرح قضية وطنه كلها، وليظهر كراهية العدو، وجرائمه، وأسبابها، ويسأل هذا العدو عن أسباب قتل الشهيدة تغريد، ثم يبسط ذلك كله للأطفال ويوجزه بأن يجيب عن السؤال الأخير حول سبب قتل تغريد، فتكون الإجابة: بأنها فلسطينية، تحب الأرض، وترفض الاحتلال. ويقول الظاهر من القصيدة ذاتها أيضا:

سألت الشمس عن تغريد

فقالتي لي:

"صباح زفافها الدامي

نثرت ضياء ألامي

على الطرقات

ولونت الحقول الخضراء والشرقات

وجئت لها

لأوقظها

فقالتي لي:

أنا الجمرة

أنا البركان

أنا الإنسان

أنا الثورة

وأعطتني وصيتها:

أحبائي

بنادقنا هويتنا

فما دامت بنادقنا

بأيدينا

ومادامت تقود نضالنا الثورة

تظل بلادنا حرة<sup>30</sup>

يغرس الشاعر في الأطفال، في السطور السابقة، بذور الثورة، من خلال قصة تغريد، التي استشهدت صباح زفافها، ليربي في نفوس الأطفال حسا بالمسؤولية الوطنية من خلال القران بين عناصر أربعة هي الإنسان، والجمرة، والبركان، والثورة، ليعلن، في النهاية وصية الشهيدة التي مؤداها أن بنادقنا هي هويتنا، والثورة طريق الحرية.

ومن مجموعته التالية "أطفال الوطن الجميل" يقول محمد الظاهر:

يا أطفال

باسم الألم وباسم الهم

باسم القصف وباسم الردم

باسم الجرح وباسم الدم

هيا نتحد السجان

نتحدى حلف الطغيان

هيا نحمل هذي الأرض

تخفق فوق كفوف الرفض

هيا نبداً فصل الحسم  
يا أطفال  
باسم العشق وباسم الحب  
باسم الوطن وباسم الرب  
باسم الجثث القتلى  
في ساحات الحرب  
هيا نحصي كل الخونة  
هيا نمحو القيم العفنة  
هيا نحرق زيف العالم  
نشعل فجر النصر القادم  
هيا نبداً فصل الرب...<sup>31</sup>

إنها دعوة إلى العمل الوطني، أسبابها ما تسبب به المحتلون من الألم، والهَم، والقصف، والرّم، والجروح، والدّم، والسجون، والطغيان، والقتل، ويأزهم الخونة، والقيم العفنة، والزيف. ويتمثل هذا العمل الوطني في تحدّي السّجان، والطغيان، وفي الرّفص، وفي إحصاء الخونة، ومحو القيم العفنة، وفي إحراق زيف العالم، حتّى يتحقّق النصر. ومن قصيدة "أغنية" يقول محمد الظاهر:

أرسم نهرًا  
أرسم جدول  
أرسم وجه الوطن الأجمل  
أرسم بستان الألعاب  
أرسم مطرًا فيه الخبز  
فوق ربوع بلادي ينزل  
أرسم  
أعلام الحرية  
وأصيح بلادي عربية  
أرسم وجه شهيد مات  
وزنودًا ما زالت تعمل  
أرسم صورًا للابطال  
أرسم  
فجرًا للأجيال  
أرسم  
وطنا للمستقبل.<sup>32</sup>

إن الحديث للأطفال عن الرسم هو حديث عن نشاط أساسي من النشاطات التي يقومون بها، ويشجّعهم عليها الكبار، ولكن الأشياء التي يرسمها هؤلاء الأطفال في النّص السابق هي من مفردات الوطن، وهي نهر، و جدول، ووجه الوطن، وبستان، ومطر يهطل فوق ربوع البلاد، وأعلام حرّية مصحوبة بصيحات تثبت عروبة البلاد، ووجه شهيد، وزنود تعمل، وصور أبطال، وفجر للأجيال، ووطن للمستقبل. فالكلام على الرسم ليس إلا مدخلا للكلام على أشياء الوطن، ومفردات المشهد الوطني، والالتزام تجاهه. ومن قصيدته الديوان "دلال المغربي" يقول محمد الظاهر أيضًا:

وكان جدّها  
يحكي لها  
عن كلّ موقعٍ في أرضه  
عن بيته  
عن شعبه  
عن ثورة الشيوخ

وانتفاضة الشباب  
 عن الجهاد والقتال  
 عن الصراع والنضال  
 يقول: يا دلال  
 يا طفلي الصغيرة  
 ما دامت المسيرة  
 دائمة متصلة...<sup>33</sup>

إنّ كلام الجدّ هنا ينصرف إلى موضوع الوطن، وعن الأرض، والبيت، والشعب، والثورة، والانتفاضة، والجهاد، والصراع، والنضال، والمسيرة المتصلة. ومن الضروريّ أن يشار هنا إلى أنّ أيّ جدّ كان سيحدّث حفيدته عن الأرض والانتماء إليها، بيد أنّ خصوصيّة التجربة التي ينطلق منها محمد الظاهر، وسائر الشعراء الذين كتبوا شعرا للأطفال في الأردن- كانت تملّي عليهم أن يتحدّثوا عن وطن ضائع، وعن الأرض الفلسطينية المحتلة، مما يستدعي كلاما على النضال من أجل استردادها، وفدائها بالأرواح.

### ج- بيئة الطفل:

أشرنا في الصفحات السابقة إلى تحوّل كثير من الموضوعات إلى موضوع الوطن، وبخاصّة ما كان منها يتناول الأرض وأشياءها، ولكنّ هذا لم يكن طابع كلّ قصيدة تناولت الأرض، وأشياءها، فما هو محمود الشلبيّ يقول من قصيدة عنوانها "الدّالية":

أحكي لكم عن شجرة  
 في أرضنا منتشرة  
 عريقة... عميقة الجذور  
 أحبها أبي  
 من سالف العصور  
 تعيش في بلادنا  
 مزهوة بالنور  
 تمتدّ في جبالنا  
 وتكسر الصخور  
 نحبها...  
 نحبها في الدّور  
 أحكي لكم عن شجرة  
 كلوحة مصوّرة  
 جرداء في الصقيع  
 خضراء في الربيع  
 قطفها شهية المذاق  
 أغصانها ملتفة الأوراق  
 تمتدّ في الأعالي  
 ساحرة الظلال  
 نطفها في الصيف  
 فاكهة للضيف  
 أحكي لكم عن شجرة  
 لشمسها منظر  
 فإن سألتها دنت  
 وردت الأغباب

وإن عصرتها بكث

وأمرت شراباً<sup>34</sup>

لقد كان هذا الموضوع "الدالية" مواتياً ليدخل الشاعر منه إلى ثيمة الوطن، ولكنه لم يرغب في تحويل الكلام على الدالية، وهي من مفردات محيط الطفل إلى الموضوع الوطني، فبيئة الطفل موضوع مواتٍ، ومناسب لتُعقَد حوله قصيدة من القصائد. إذن، فعلى الرغم من الظاهرة سالفة الذكر، التي يتحوّل فيها كثير من الثيمات إلى موضوع الوطن، وتستثمر تلك الثيمات جميعاً من أرض، ونبات، وإنسان، ومكان في حديث عريضٍ حول الوطن، فالأرض جزء من الوطن، ورمز له، والنبات نباته، والإنسان إنسانه، والأماكن جميعها تُذكر لتذكّر الأطفال به.

#### د- موضوع العلم، والتعلم:

شغل موضوع العلم، والحثّ عليه، وفضاءات التعلّم، وفوائده، وآفاقه مساحات واسعة من الشعر الموجّه إلى الأطفال في العالم العربيّ، بله الأردن. وقد تحدّث الشعراء عن قيمة العلم، وانعكاساته على المتعلّمين، وفوائده، كما أكثر الشعراء من الحديث عن أدوات العلم من كتب، ودفاتر، وأقلام، فضلاً عن الحديث عن المدرسة، والصفّ، والمكتبة. وعن الأخيرة يقول عليّ البنييري:

عندي أنا مكتبة

أعددتها بنفسي

من فرحتي بما حوت

رفوفها

أعدو بها وأمسي

مكتبتني صغيرة، لكنّها

عديدة الألوان

ملينة بأجمل الأفكار والمعاني<sup>35</sup>.

وزيادة على المكتبة، فقد تناول البنييريّ أدوات الدرس، والتعلّم، فيها هو يقول من قصيدة "عندي قلم":

عندي قلمٌ ومعي دفترٌ

أرسمُ بيتاً حلق المنظرُ

وألونهُ بعد الرسمِ

وعلى المدخلِ أكتبُ اسمي<sup>36</sup>

وقد تعمّد الشعراء أن يبيّنوا المعلومات، والفوائد العلميّة في بعض قصائدهم، ونجد بعض ذلك عند عليّ البنييريّ في قصيدته "أحلى

وردة" التي يقول منها:

اسمي فادي واسمك رندة

نقرأ نكتبُ ولنا مدّة

أولُ حرفٍ في اسمي فاءٌ

أولُ حرفٍ في اسمك راءٌ

ما أحلى هذي الأسماء!<sup>37</sup>

صحيح أنّ القصيدة عنوانها "أحلى وردة"، بيد أنّ الشاعر استثمرها ليذكر اسمين هما (فادي)، و(رندة)، ثمّ لياشر بعد ذلك بتحديد الحرف الأوّل من كلّ منهما، وفي ذلك معرفة لغويّة مضافة إلى جماليّات هذه القصيدة، وموضوعها الأساسيّ.

ونجد ممارسةً شبيهةً عند أكثر من شاعر، فيها هو محمد الظاهر يقول من قصيدة "أبجدية الطفل العربي":

حرفُ الألفِ

إني مع ثوارِ الشعبِ

أسعى مع فرسانِ الركبِ

إني أسعى  
نحو الهدف  
حرف الباء  
بيتي كأن  
خير مكان  
أحلى من أحلى بستان  
تتلاً فيهِ الألوان  
بيتي دمرهُ الأعداء  
حرفُ التاء  
تحريرُ الأرضِ العربية  
تفجيرُ الحربِ الشعبية  
عهدُ الثوارِ الشرفاء<sup>38</sup>

فالموضوع القومي - الوطني هو الموضوع الرئيس الذي تحفل به القصيدة، ولكن المعرفة اللغوية المتمثلة في زيادة الحصيلة اللغوية، وإغناء معجم الطفل، وتحديد بدايات المفردات: كل ذلك كان متبدياً بوضوح في هذه القصيدة الطويلة جميعاً.

#### هـ- موضوع الأسرة:

من الموضوعات الأساسية التي تشغل حيزاً لا بأس به من الشعر الموجه إلى الأطفال في الأردن موضوع الأسرة، والعلاقات الاجتماعية التأسيسية التي تبدأ فيها، ومن ذلك قصائد كثيرة حول الأم، والأب، والإخوة، والأخوات، والجد، والجدّة. ومن أمثلة ذلك ما نجده عند محمود الشلبي في قصيدة "أحب أبي"، وفيها يقول:

أحبُّ أبي... وأشكُرُهُ  
ولا أنفكُ... أنكرُهُ  
أجالسُهُ... أسامرُهُ  
وأدعو الله... ينصرُهُ  
وأخلصُ في محبته  
وأرقُبُ وقت عودته  
أسرُّ أنا لطاعته  
وأفرحُ من هديته  
أحبُّ أبي بلا حدٍّ  
وأعرفُ أنه مجدي  
وأن العمرَ لولاهُ  
لضاع سُدَى بلا وعدٍ<sup>39</sup>

#### إلماعة ختام:

لقد ركّز الشعراء في شعرهم الموجه إلى الأطفال على مقولات الحق، والخير، والجمال، وكانت قصائدهم، في جملها، جليلة المضامين، ولكن أثر الشعر في الأطفال ليس أساسياً، فثمة مؤثرات تربوية (إيجابية، وسلبية) قد تؤثر في الأطفال أكثر من الشعر، والقصيدة، فحتى لو كان الأطفال يحفظون قصيدة عن الأمانة؛ فإنّ القيم النظرية التي تطرحها قد لا تقوى على الصمود أمام فيلم صور متحركة يدور حول شخصية طفل سراق ظريف، يعيش من خفة اليد مثلاً، ويثتم بروح مرحة، وقدرة درامية على التأثير في الأطفال. ومثل ذلك قد يقال عن رفيق أو صديق في المدرسة، أو في الجيرة قادر على إقناع طفل ما بجمالية السلوك السلبي، أو أن يزيّن له جملة المكاسب المتحصلة من السرقة مثلاً، وما قد يفعله بالمسروقات، ويصنع لديه إحساساً تطهيريّاً تجاه فعل السرقة.

## الإحالات، والهوامش:

- 1 ينظر أحمد أبو حاقه (1972)، المفيد في البلاغة والتحليل الأدبي، بيروت، دن، ص 32.
- 2 ينظر في تحديد مرحلة الطفولة عند مروان قنواي (1976)، مونتسوري ونظرتها إلى الطفل والمراهق وطالب الجامعة، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص 21، وكذلك عند مصطفى فهمي (د.ت)، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، القاهرة، مكتبة مصر، ص 35-61.
- 3 ينظر بنعيسى زغبوش (2002)، النفاذ إلى الذاكرة المعجمية ووظيفتها في فهم اللغة العربية عند الطفل"، مجلّة الطفولة العربية (الكويتية)، مج 3، ع 12، سبتمبر /2002، ص 54.
- 4 ينظر علي الحديدي (1988)، شعر الأطفال، "الشعر في أدب الأطفال"، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 20.
- 5 ينظر مصطفى حجازي (1990)، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة، "أدب الأطفال: الإنجازات والإشكاليات"، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية، ص 194 - 195. وينظر كذلك عبد الله أبو هيف (2001)، التنمية الثقافية للطفل العربي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ص 71.
- 6 ينظر علي الحديدي، م.س، ص 19.
- 7 إحسان عباس (1959)، فنّ الشعر، بيروت، دار بيروت، ط 2، ص 175.
- 8 ليليان فرست ( )، الرومانسية، ص 64-65.
- 9 إحسان عباس، م.س، ص 175.
- 10 عبد الرحمن عثمان (1975)، مذاهب النقد وقضاياها، د.م، دن، ص 345.
- 11 بول فان تينغيم (1981)، الرومانسية في الأدب الأوروبي، ج 2، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص 127.
- 12 بول فان تينغيم، م.س، ص 127.
- 13 إحسان عباس، م.س، ص 174.
- 14 نصرت عبد الرحمن (1979)، في النقد الأدبي الحديث، عمّان، مكتبة الأقصى، ص 124.
- 15 نصرت عبد الرحمن، م.س، ص 125.
- 16 ينظر صبحي سعيد، (2003)، "الواقع والخيال في أدب الأطفال"، دمشق، مجلّة المعرفة (السورية)، ك 2، ص 227.
- 17 أبو هيف،
- 18 محمد الظاهر (1989)، أدب الأطفال في الأردن: واقع وتطلّعات، "أشكال أدب الأطفال: قصيدة الطفل"، عمّان، وزارة الثقافة ومؤسسة نور الحسين، ص 61.
- 19 ينظر أرنلد جزل (1957)، الطفل من الخامسة حتّى العاشرة، ج 2، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 259-261.
- 20 ينظر أرنلد جزل، م.س، ص 260-261.
- 21 ينظر فيرنر لنده مان (1989)، ثقافة الأطفال، "كتابة الشعر للأطفال" ترجمة عزري الوهاب ، بغداد، دار ثقافة الأطفال، ص 90.
- 22 ينظر محمد المنسي قنديل (2002)، ثقافة الطفل العربي، "مشكلات الكتابة للطفل العربي"، الكويت، منشورات مجلّة العربي، ص 46.

- <sup>23</sup> ينظر سعيد أحمد حسن (1984)، أدب الأطفال ومكتباتهم، عمّان، دار الشروق، 1984، ص 85.
- <sup>24</sup> أحمد المصلح (1999)، أدب الأطفال في الأردن 1979-1998: دراسة تطبيقية، عمّان، وزارة الثقافة، ص 53.
- <sup>25</sup> محمد الظاهر، أطفال الوطن الجميل...، ص 5-6.
- <sup>26</sup> البتيري، أطفال فلسطين يكتبون الرسائل، ص 10.
- <sup>27</sup> البتيري، صوت بلادي، ص 8.
- <sup>28</sup> البتيري، أطفال فلسطين يكتبون الرسائل، ص 11.
- <sup>29</sup> الظاهر، تغريد البطمة، ص 18.
- <sup>30</sup> الظاهر، تغريد البطمة، ص 6.
- <sup>31</sup> الظاهر، أطفال الوطن الجميل، ص 5-6.
- <sup>32</sup> نفسه، ص 3-4.
- <sup>33</sup> الظاهر، دلال المغربي، ص 12-14.
- <sup>34</sup> الشلي، عصافير الندى، ص 9-10.
- <sup>35</sup> محمد الظاهر، أغنيات للوطن...، ص 9-18.
- <sup>36</sup> البتيري، صوت بلادي، ص 10.
- <sup>37</sup> نفسه، ص 18.
- <sup>38</sup> الظاهر، أبجدية الطفل العربي، ص 3-5.
- <sup>39</sup> الشلي، الديك والنهار، ص 31-34..